مرثية الفارس والنهر العقيم

— ١ —

على الطريق بعض صخرٍ
سروة تخضر اعواماً
وتعطي قوتها للريح والامطار ،
على الطريق خيط ريحٍ
بعض ظلٍ ،
شاهد يرقب ما تأتي به الأسفار ،
على الطريق أنت دونما نوافذٍ
تقرأ في الغربة ..
تحيا أو تموت ،
تخضر أعواما وتنسى غابة الصبار ،
يرث وجهك القديم في محاجر البيوت ،
وتسحب الخيوط من ستارة الاحزان ،
أشياؤك الصغيرة التي هويت لاتموت ،
لكنها تغلق بابها
فلا تشف عنها جبهة النسيان ،
وفي الطريق
ينام في أغصانه الصفصاف
تغفو عتمة المكان ... ،
(رأيت وجهي ،
وجه جدي وأبي
مسافرا بلا مكان ،
وما ورثت عنهما سوى دفاتري
.. هديتي دروع فارس قضى
على شواطيء الفرات ،
ومدية للص صارت والخفير
على الطريق من عبير الريح طوق
قمر وحيد ،
وفارس وحيد ..

— ٢ —

صحوت في المساء ،
والشمس قنديل النحاس في ذوائب الشجر
عابرة الف مدينة غريبة النعاس
(مرت علينا الشمس دارت في الخفاء
بغداد كانت آخر الاسوار في فصل اليباس ،
أقفر في الحارات طعم الشيح واللبلاب ..
بعداد تخفي وجهها
تقفل خلفنا وجوه الصحب والاحباب
صحوت في المساء
يدب في صدري وصوتي ،
شفق من الخطى
(نسيت اشيائي الكثيرة
لكنني لم انس وشمي
عنمتني لفها الاسيرة
وقبلها باركني أبي
ولم افرح بصوتي حينما تساقط المطر
فبعت في مضارب الصبار
مصحفه وسيفه الحجر
وعدت خلف الشمس في سقوطها
ابكي على الاسوار)
تشف في الجبهه عتمة الخطى
تفيق دقه الزمان
فعالم الصغار لا يمسح أعياد المساء
يخلف العتمة والأثر ،
ينسل عائدا على سلالم المنفى
اذا ما ازهرت في مدن النحاس زهرة القمر
(وكنت في أواخر الليل
اذا امتد السهر
وفتحت صدري نوافذا
اصابع زرقاء يحلم الصغار في غصونها
بثوب من ثياب الليل والمطر
انسى ملامحاً
اذكر اشياء بلا خيطٍ
يقول لي صديق ،
كبرت عن أحزانك الاولى
كبرت أنت والطريق ،
ترى لماذا عدت في الغربة بيتاً
عدت في الغربة أحجار الطريق ؟)
وفي أواخر المساء
يشتد برد الليل
يندي القلب بالسواد ،
تقفز خلف الباب نيران الفجر
وينبت الصفصاف من جذوره
في غابة الرماد ..
على الطريق من صدى الظلال ،
على الطريق

— ٣ —

ومن فصول القمح بحبات
أبناء بغداد التي يمسحها الغبار
وريفه في الريح
اصواتا بلا مدار
حوافر الخيل بلا أرضٍ ..
قوافل السبايا تعبر الفرات ..
وفارس أسير
يبيع صوته ،
جبينه على بوابة المدينة
(انت وهذا العيد جرحي ..
أنت والطريق)
وبعض ظلٍ
بعض ماءٍ ...
من ترى يسقي جذور سنديانة
تموت يومها الاخير ؟
ومن ترى يعلق الرياح في غصونها ذاكرة ،
من يمنح الاسير ..
سيفا يرد عنه في رحيله الطويل ،
يرد عن خطاه شهوة الحجر ..؟
(على الطريق بعض صخرٍ
بعض ماءٍ ،
خيلنا العطشى بلا ماء يخونها الدليل .
على الطريق زهرة القمر
أوراق ورد طيرتها الريح ..
لم تعرف وجوها غيرتها النار
والمطر ..)
على الطريق أنت دون ما نوافذ يبيعك الدليل
يرث وجهك القديم في محاجر البيوت
يرث صوتك العقيم في أساور الفجر ،
تموت ... تحيا ..
في سحابة النهار ..
على الطريق صوت ريحٍ
قمر وحيد .. وفارس وحيد ..
تنسل من ثيابه روائح الغبار .

الكويت — محمد الاسعد